

تفسير السعدي

@ 373 @ لغافلون) ^ فلذلك تمر عليهم وتكرر فلا ينتفعون بها ، لعدم إقبالهم عليها .
وأما من له عقل وقلب حاضر ، فإنه يرى من آيات الله ما هو أكبر دليل على صحة ما أخبر به
الرسول . ^ (ولقد بوأنا لبني إسرائيل مبوأ صدق) ^ أي : أنزلهم الله وأسكنهم في مساكن آل
فرعون ، وأورثهم أرضهم وديارهم . ^ (ورزقناهم من الطيبات) ^ من المطاعم والمشارب
وغيرهما ^ (فما اختلفوا) ! 2 2 ! (حتى جاءهم العلم) ^ الموجب لاجتماعهم وائتلافهم
، ولكن بغى بعضهم على بعض ، وصار لكثير منهم أهوية وأغراض تخالف الحق ، فحصل بينهم من
الاختلاف شيء كثير . ^ (إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) ^
بحكمة العدل الناشئة على علمه التام ، وقدرته الشاملة ، وهذا هو الداء ، الذي يعرض لأهل
الدين الصحيح . وهو : أن الشيطان إذا أعجزه أن يطيعوه في ترك الدين بالكلية ، سعى في
التحريض بينهم ، وإلقاء العداوة والبغضاء ، فحصل من الاختلاف ما هو موجب ذلك ، ثم حصل من
تضليل بعضهم لبعض ، وعداوة بعضهم لبعض ، ما هو قرة عين اللعين . وإلا فإذا كان ربهم
واحدا ، ورسولهم واحدا ، ودينهم واحدا ، ومصالحهم العامة متفقة ، فلأي شيء يختلفون
اختلافا ، يفرق شملهم ، ويشتت أمرهم ، ويحل رابطتهم ونظامهم ، فيفوت من مصالحهم الدينية
والدنيوية ما يفوت ، ويموت من دينهم بسبب ذلك ما يموت ؟ فنسألك اللهم لطفا بعبادك
المؤمنين ، جمع شملهم ورأب صدعهم ، ورد قاصيهم على دانيهم ، يا ذا الجلال والإكرام . ^ (
فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من
ربك فلا تكونن من الممترين * ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكونن من الخاسرين) ^
يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ^ (فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك) ^ هل
هو صحيح أم غير صحيح ؟ ^ (فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك) ^ أي : اسأل أهل
الكتاب المنصفين ، والعلماء الراشخين ، فإنهم سيقرون لك بصدق ما أخبر به ، وموافقته
لما معهم . فإن قيل : إن كثيرا من أهل الكتاب ، من اليهود والنصارى ، بل ربما كان
أكثرهم ومعظمهم ، كذبوا رسول الله ، وعاندوه ، وردوا عليه دعوته . والله تعالى أمر رسوله
أن يستشهد بهم ، وجعل شهادتهم حجة لما جاء به ، وبرهانا على صدقه ، فكيف يكون ذلك ؟
فالجواب عن هذا من عدة أوجه : منها : أن الشهادة إذا أضيفت إلى طائفة ، أو أهل مذهب ،
أو بلد ونحوهم ، فإنها إنما تتناول العدول الصادقين منهم . وأما من عداهم ، فلو كانوا
أكثر من غيرهم ، فلا عبرة فيهم ، لأن الشهادة مبنية على العدالة والصدق ، وقد حصل ذلك
بإيمان كثير من أحبارهم الربانيين ، ك (عبد الله بن سلام) وأصحابه ، وكثير ممن أسلم في

وقت النبي صلى الله عليه وسلم ، وخلفائه ، ومن بعدهم . ومنها : أن شهادة أهل الكتاب للرسول صلى الله عليه وسلم ، مبنية على كتابهم التوراة الذي ينتسبون إليه . فإذا كان موجودا في التوراة ، ما يوافق القرآن ويصدق ، ويشهد له بالصحة ، فلو اتفقوا من أولهم لآخرهم على إنكار ذلك ، لم يقدر بما جاء به الرسول . ومنها : أن الله تعالى أمر رسوله أن يستشهد بأهل الكتاب على صحة ما جاءه ، وظهر ذلك وأعلنه على رؤوس الأشهاد . ومن المعلوم أن كثيرا منهم ، من أحرص الناس على إبطال دعوة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم . فلو كان عندهم ما يرد ما ذكره الله ، لأبدوه ، وأظهروه وبينوه . فلما لم يكن شيء من ذلك ، كان عدم رد المعادي ، وإقرار المستجيب من أدل الأدلة على صحة هذا القرآن وصدقته . ومنها : أنه ليس أكثر أهل الكتاب رد دعوة الرسول ، بل أكثرهم استجاب لها ، وانقاد طوعا واختيارا ، فإن الرسول بعث ، وأكثر أهل الأرض المتدينين أهل الكتاب . فلم يمكث دينه مدة غير كثيرة ، حتى إنقاد للإسلام أكثر أهل الشام ، ومصر ، والعراق ، وما جاورها من البلدان التي هي مقر دين أهل الكتاب ، فلم يبق إلا أهل الرياسات الذين آثروا رياستهم على الحق ، ومن تبعهم من العوام الجهلة ، ومن تدين بدينهم اسما لا معنى ، كالإفرنج الذين حقيقه أمرهم ،